(8) Le passé de l'Afrique du Nord, p. 238.
(9) Histoire du Maroc, pp. 78-79.
(10) Histoire de l'Afrique du Nord, T. 2, p. 14.

(11) أنظر الكامل في التاريخ، جـ 3، ص 89ـ90.

(12) نفسه، ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 1، ص 10 فما بعدها، ابن أبي الدينار: المؤنس، ص 26.

(13) La Berberie musulmane et l'Orient au moyen âge, pp. 29-30.
(14) Histoire de l'Afrique du Nord, T. 2, p. 14.
(15) « l'tablissement des Arabes dans l'Afrique Septentrionale, p. 55.

(16) Id. note 2 T ، نقل Mercier هذا الخبر عن النويري وابن عذارى، ويوجد أيضا في كتاب أبن أبي دينار (المؤنس، ص 27).

(17) La Berberie musulmane et l'orient au moyen âge, p. 30 أنظر أيضا : Julien Gh. A op. cit. p. 15.

(18) Terrasse H. op. cit., p. 79. Mercier E. op. cit., p. 55;
(19) Histoire du Maroc, p. 79.
(20) Histoire de l'Afrique du Nord, T. 2, pp. 15-16.
(21) La Berberie musulmane et l'orient au moyen âge, p. 30-31.

(22) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 3، 91ـ92، ابن عذاري: البيان، 1، 17.

(23) ابن عذاري: نفس المصدر ص 17.

(24) ابن الأثير : نفس المصدر، ص 92.

(25) ابن عذاري: المصدر السابق، ص 17؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص 92، إبن خلدون: كتاب العبر، جـ 6، ص 216.

(26) ابن عذاري: المصدر السابق، ص 16.

(27) Histoire de l'tablissement des Arabes, p. 5. (28) Op. cit., p. 31.

(29) عن هذا الموضوع، انظر ابن عبد الحكم: فتوح، ص 48ـ49؛ ابن عذاري: البيان، 1، 17 فما بعدها، ابن الأثير: الكامل، 3، 92، ابن خلدون: العبر، 6، 216.

(30) La Berberie Musulmane, p. 31.

(31) Histoire de l'tablissement des Arabes, p. 57.

(32) عن هذا الموضوع أنظر ابن عبد الحكم: فتوح، ص 50 فما بعدها؛ ابن عذاري: البيان، 1، 19، ابن الأثير: الكامل، 3، 465.

(33) الكامل، 3، 465.

(34) البيان المغرب، 1، 19ـ20.

(35) عن هذا الموضوع، أنظر ابن الأثير: الكامل، 4، 106؛ ابن عذاري: البيان، 1، 29؛ ابن خلدون: العبر، 6، 217.

ثورات الخوارج بالمغرب الإسلامي
ابتداء من سنة 122 هـ / 739 ـ 740 م
في المصادر العربية قديما
ودراسات المدرسة الغربية حديثا 739 ـ 740 م

بحاز ابراهيم

لا تزال ثورات الخوارج ببلاد المغرب (122 هـ/739ـ740م) بحاجة الى مزيد من البحث والتقصي لاسبابها وعواملها وأحداثها وأهدافها ونتائجها المحققة وغير المحققة. ورغم ما كتب عنها قديماً وحديثا ، فهي عندي، في كثير من جوانبها ، غامضة غير واضحة ، وبالتالي ، فأنه لا يتسنى لنا فهم أعماق هذه الثورة ولا سَبْرَ أغوارها الا بنقد مصادرها القديمة ودراساتها الحديثة خاصة ما يتعلق منها بدراسات المدرسة الغربية.

ومن هنا فإن الإشارات التي سأتناولها في موضوعي هذا، لا تمس الثورة في حد ذاتها ولا في أحداثها ولا في أهدافها وانما تهتم بمن كتب عنها تريد رفع اللثام عن أغراضهم وأهدافهم ومنطلقاتهم ونظرتهم الى الثورة والثوار.

ولقد رأيت تقسيم كلمتي هذه الى النقاط التالية:

أولا: أهم أحداث الثورة في المغرب الإسلامي

ثانيا : المصادر القديمة ودراسات المدرسة الغربية عرض وتحليل.

ثالثا : ثورات الخوارج بين المؤرخين قديما والمدرسة الغربية حديثا.

إن ثورة الخوارج، ثورة متشابكة أحداثها، متداخلة عناصرها غامضة أهدافها. ولا أدل على ذلك من تعدد تسميات هذه الثورة، مثل: ثورة البربر،

ثورات البربر، ثورة الخوارج، ثورات الخوارج، الثورة المغربية، ثورات المغاربة، ثورة ميسرة، ثورة زناتة، ثورة البترية، الثورة البربرية الكبرى، الثورة الاجتماعية.

وهذه التسميات كافية لوحدها ان تمدنا بالزوايا التي نظر المؤلفون من خلالها الى الثورة موضوع الدراسة: فهي اما زاوية قومية أو دينية مذهبية أو اقليمية أو فردية تمردية أو هي زاوية اقتصادية...

وقبل الخوض في نقد بعض مصادر هذه الثورة، أرى من الضرورة الإحاطة بشيء من خطوطها العريضة المتمثلة في أهم أحداثها.

أهم أحداث الثورة في المغرب الاسلامي:

في عهد هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي (105_125هـ/723_742م) وعامله على افريقية والمغرب عبيد الله بن الحبحاب، ثار البربر بقيادة ميسرة المطغري في طنجة بالمغرب الأقصى سنة 122 هـ/739_740 م فقتلوا عمر بن عبيد الله المرادي عامل ابن الحبحاب على طنجة واسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب العامل على السوس، وهكذا استعدوا لمواجهة قوات الخلافة معلنين تمردهم «وتداعت برابرة المغرب بأسره على حد قول ابن عذارى، فثارت البربر بالمغرب الأقصى، فكانت أول ثورة فيه وفي افريقية في الاسلام»[1].

وهكذا بدأت الثورة تأخذ أحجاما مختلفة واتجاهات متنوعة، والتقى الثوار بقوات الجند في عدة معارك أهمها معركة الاشراف التي كانت للثوار على الجند وقتل فيها حماة العرب وفرسانها وكماتها وأبطالها فسميت لذلك بالأشراف.

ولما وصل خبر هذه الثورة والهزيمة الى هشام بن عبد الملك قال: «والله لأغضبن لهم غضبة عربية، ولابعثن لهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي ثم لا تركت حصن بربري الا جعلت الى جانبه خيمة قيسي أو تميمي»[2].

وغضب هشام غضبته العربية فجهز جيشا تعداده ثلاثين ألف جندي جعل قيادته بيد كلثوم بن عياض مع سلطات واسعة، ولكن الثوار قضوا على هذا الجيش قضاء مبرما وشتتوه شذر مذر وذهبت غضبة هشام أدراج الرياح، وراح الثوار وعلى رأسهم خالد بن حميد الزناتي يأسرون ويلاحقون ويحاصرون هؤلاء الجند في كل مكان.

بعد هذين الانتصارين للثوار في المغرب الأقصى والأوسط، امتدت الثورة حتى عمت المغرب من أقصاه الى أدناه، بل تسربت الى الأندلس شمالا، واضطربت الأحوال في المغرب الاسلامي على الخليفة هشام وولاته الواحد بعد الآخر، اذ قامت ثورات أخرى في الزاب بالمغرب الأوسط وفي افريقية (المغرب الأدنى) وكانت تحت قيادة عبد الواحد الهواري في شق منها وقيادة عكاشة بن أيوب الفزاري في شق آخر، وكلاهما صفري المذهب، وهكذا تسنح الفرصة لقوات الخلافة التي قدمت بقيادة حنظلة بن صفوان بعد مقتل كلثوم بن عياض للانتقام من الثوار في معركتي القرن والأصنام بافريقية قريبا من القيروان سنة 125 هـ/742 م. ولم تصل أخبار هذا الانتصار الى الخليفة هشام بدمشق الا بعد وفاته في نفس العام مباشرة. وحاولت قوات الخلافة السيطرة على الأوضاع، وملاحقة الخوارج الصفرية في كل مكان بإفريقية والمغرب، ولكنها لم تستطع ذلك الا بإفريقية والزاب من المغرب الأوسط اذ استقل المغرب الأقصى والأوسط عن الخلافة الأموية، فإذا كانت قوات الخلافة قد حطمت الثوار الخوارج في القرن والأصنام، فإن أسباب الثورة لا تزال ماثلة وسوف تساعد على اقتحام قبيلة ورفجومة الصفرية، مدينة القيروان، وعلى ارتكاب مناكرها فيها، الأمر الذي يدعو الأباضية من نفوسة وغيرها وعلى رأسهم أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الى اعلان امامة الظهور ودخول طرابلس وافتكاك القيروان من أيدي ورفجومة العابثين فيها سنة 141 هـ/758م، الا أن المنصور العباسي بعد أن استقامت له الأمور نوعا ما في بلاد المشرق وبعد سقوط الأمويين وقيام العباسيين، اتجه بنظره نحو المغرب، فأنفذ اليه جيشا تحت قيادة محمد بن الأشعث الخزاعي الذي استطاع ضرب الاباضية في القيروان وملاحقة الخوارج في كل مكان.

وهكذا يبقى المغرب بين مد وجزر، حتى يستقل كله تقريبا عن الخلافة العباسية في بغداد وذلك بعد قيام الدول المستقلة فيه مثل الدولة المدرارية الصفرية سنة 140 هـ/757م ـ والدولة الرستمية الاباضية سنة 160 هـ/777م والدولة الادريسية العلوية سنة 172 هـ/788م والدولة الأغلبية شبه المستقلة سنة 184 هـ/800م[3].

هذه نبذة عن ثورات الخوارج في المغرب، تبين ظروف الزمان والمكان الذي

قامت فيه، وتساعدنا على عقد مقارنة بين المؤرخين قديما من جهة وبين مؤرخي المدرسة الغربية حديثا من جهة أخرى، وبالتالي الخروج برأي علمي دقيق توضع في اطاره الثورات موضوع الدراسة.

المصادر القديمة ودراسات المدرسة الغربية عرض وتحليل:

تناول الكثير من المؤرخين القدامى ثورات البربر، على حد تعبيرهم ويمكن تصنيف هؤلاء الى ثلاث أصناف هي:

1) المؤرخون المغاربة من غير الخوارج.
(2) المؤرخون المغاربة من الخوارج.
(3) المؤرخون المشارقة

أما المؤرخون المغاربة من غير الخوارج فكثيرون، منهم من وصلتنا كتبهم ومنهم من لم تصلنا وانما وجدنا شذرات مما كتبوه في مؤلفات غيرهم وينطبق هذا خاصة على محمد بن يوسف ابي عبد الله التاريخي الأندلسي المشهور بالوراق والمتوفي سنة 363 هـ، اذ لم يصلنا ديوانه الضخم على حد تعبير الضبي[4]. ولحسن الحظ احتفظ أبو عبيد البكري بجزء كبير منه ضمن كتابه الجغرافي المعروف، وتناول خاصة ـ في ما يخص قضيتنا التي نحن بصدد دراستها ـ القبائل المرتدة بعد الثورة وأهم شرائعها وشعائرها.

أما الرقيق القيرواني أبو اسحاق عمر بن القاسم الذي عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي فأنه بحكم توليه لرئاسة ديوان الرسائل ببلاط بني زيري الصنهاجيين، فلا شك قد أتاحت له هذه الوظيفة فرصة الاطلاع على العديد من الوثائق والكتب التي على أساسها كتب تاريخه المعروف بتاريخ افريقية والمغرب، وهو كتاب قيم رغم أنه مبتور في بعض أحداث ثورة البربر، ومع ذلك يبقى كتاب الرقيق من المصادر الأولى في تاريخ هذه الثورة خاصة وان الرقيق قد ظهر فيه معتدلا نوعا ما.

وعلى الرقيق اعتمد ابن عذارى المراكشي في القرن السابع الهجري في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب وعليه بالذات اعتمد في الحديث على

الثورة والثوار فجاءت عنده مفصلة مضبوطة ومتسلسلة وكثيرا ما يكمل ابن عذارى كتاب الرقيق في الأحداث التي سقطت منه ولم تصلنا، ومن هنا لا يختلف ابن عذارى كثير ا عن الرقيق في تناوله للثورة فكلاهما معتدل نوعا ما.

أما اذا جئنا الى ابن خلدون وكان من الممكن جدا أن اقتصر عليه فقط ما دمت في عملية مقارنة بين المصادر القديمة ودراسات المدرسة الغربية، اذ أن هذه الأخيرة لم تعتمد على مصدر قديم اعتمادها على عِبر ابن خلدون.

فابن خلدون غني عن التعريف، ولكن لا بد من كلمة حول نظرته للثورة والثوار ولا أبالغ ولا أكون مندفعا عندما أقرر أن ابن خلدون نظر الى الثورة بمنظار يخالف تماما سابقيه الرقيق وابن عذارى رغم أنه استمد مادته التاريخية منهما ومن الرقيق في أحداث الثورة بالذات. ان ابن خلدون نظر الى الثورة نظرة دينية مذهبية ونظرة عصبية، فموقف ابن خلدون من الخوارج معروف، هو موقف عدائي صريح لا يقبل ابن خلدون نفسه فيه أي مناقشة بعكس موقفه من المذاهب السنية وهو السني والمذاهب الشيعية.

فإذا كان في الأولى متعصبا فهو في الثانية لا يكون الا متعاطفا وفي كلتا الحالتين وقع ابن خلدون في الأخطاء والمزالق التي حددها هو نفسه في مقدمته.

وإذا كنا لا نريد أن نبحث عن أسباب عداوته المبالغ فيها تجاه مذاهب الخوارج كما لا نريد البحث عن أسباب دفاعه عن الشيعة وما يحوم حولها، إلا أننا نلاحظ ان مواقف ابن خلدون هذه عرفت المدرسة الغربية كيف تستغلها لخدمة أهدافها.

ورغم هذا الموقف، فإن ابن خلدون يبقى من المصادر الأساسية لتاريخ المغرب الاسلامي، ولا غُنْيَة لباحث عنه، خاصة وانه كان المرجع الأول ولا يزال لمؤرخي المدرسة الغربية.

ومع هذا الصنف الأول من المؤرخين المغاربة يمكن أن نضيف اليهم الصنف الثاني وهم المشارقة، واذا استثنينا ابن عبد الحكم المتوفي سنة 257هـ/871م في كتابه فتوح مصر والمغرب، فإن باقي المؤرخين المشارقة فيما يخص الثورات موضوع دراستنا كانوا مقلين، ولا جديد عندهم، اللهم الا عارضة الشكوى التي تقدم بها البربر في دمشق لحاجب الخليفة هشام بن عبد الملك والتي أورد تفاصيلها الطبري قبل غيره

من المؤرخين ، كما نجد بعض الأخبار الجديدة التي تحتاج الى تدقيق في تاريخ خليفة بن خياط العصفوري المتوفي سنة 240هـ/854م وهي ،في علمي، لم تستغل ولم يلتفت اليها بعد.

ان المصادر العربية المشرقية في تناولها لأحداث الثورة كانت عالة على المصادر المغربية المكتوبة تردد ما كتبته ، أما اذا اعتمدت على المصادر الشفوية مثل تاريخ خليفة ابن خياط ، فأنها لا تخلو من الأخطاء باستثناء ابن عبد الحكم المالكي المذهب المصري الموطن فأنه كان ينتقي رواته أحسن انتقاء ولذلك جاءت فتوحه للمغرب وسرده لاحداث الثورات دقيقا مضبوطا وكان في كثير من الأحيان معتدلا.

ان المؤرخين المغرابة والمشارقة من غير الخوارج تجمعهم صفة واحدة وهي الكتابة للسلطة القائمة ارضاء للخلافة، الا ان العامل الزمني يفرق ما بين متقدميهم ومتأخريهم، فخليفة بن خياط وابن عبد الحكم والرقيق نلاحظ في تناولهم للثورة البربرية نوعا من الاعتدال ونكاد لا نشعر بميولهم المذهبية ولا بموقفهم المتعصب، في حين نجد الذين جاءوا بعدهم كابن عذارى وابن خلدون وصاحب الأخبار المجموعة وابن الأثير والنويري وغيرهم كانت كتبهم كلها تقريبا تنضح بالتعصب والمذهبية الضيقة ولسوء حظ التاريخ المغربي اعتمد مؤرخو المدرسة الغربية على هذه المجموعة بالذات.

اذن بعد أن تعرضنا للصنفين الأولين من المؤرخين المشارقة والمغاربة من غير الخوارج نأتي الآن الى الصنف الثالث وهو المؤرخون المغاربة من الخوارج ، وهؤلاء من الأباضية لا غير، اذ لم يبق من كتب الصفرية كتاب، فلا شك أنها أحرقت في الصراع الشيعي العبيدي من جهة والخارجي المدراري والرستمي من جهة أخرى في نهاية القرن الثالث الهجري.

ان ابن سلام اللواتي الأباضي الذي عاش في القرن الثالث الهجري في كتابه (شرائع الدين) أو «الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية» (وهو العنوان الذي صدر به عن دار اقرأ سنة 1985م)، وأبا زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني المتوفي سنة 471هـ في كتابه سير الأئمة وأخبارهم، يتناولان ثورات البربر الاباضية منها خصوصا والصفرية عرضا، ويقدمان لنا وجهة نظر الثوار اذ أنهما من البربر أولا ومن الخوارج ثانيا، لهذا فلا نتعجب اذا كان موقفهما مع الثوار منذ البداية ، بل أنهما استهلا كتابيهما

بذكر فضائل البربر، وكانت في كثير منها منسوبة الى النبي محمد ﷺ أو الى أحد الصحابة البارزين توكيدا على صحتها في اعتقادهم.

فإذا كان مؤرخو المدرسة الغربية قد اعتمدوا سير أبي زكرياء بالإضافة الى سير الشماخي أحمد بن سعيد المتوفي سنة 928هـ/1522م، فأنهم لم يعرفوا كتاب ابن سلام الذي يعتبر مصدر كل من أبي زكرياء والشماخي، لأن مخطوطه ظهر مؤخرا والعناية بطبعه وتحقيقه لم تتم الا في العام الماضي.

ويبدو لي أن مؤرخي المدرسة الغربية قد وجدوا في مصادر الأباضية ضالتهم لأنها تعبّر عن وجهة نظر البربر الخوارج في اعتقادهم.

ان المؤرخين الاباضية كانوا بطبيعة الحال متعصبين مذهبيا وعرقيا، فلا غرو أنهم كانوا من المستضعفين، وكانوا يواجهون سيلا من الكتابات في عهدهم تتحدث عن ثوراتهم أو تمرداتهم بنظرة لا تخلو ولا شك من تعصب مذهبي وعرقي.

أما إذا جئنا الى الحديث عن مؤرخي المدرسة الغربية والذين اهتموا بالثورة البربرية ، نجد أغلبهم من الفرنسيين الذين تقلبوا في مناصب مختلفة بالجزائر أيام الاحتلال الفرنسي ، ولعل عمدتهم في هذا المجال هو جوتييه E. F. Gautier صاحب كتاب «ماضي شمال افريقيا» أو بالأحرى «القرون المظلمة لبلاد المغرب» وهو العنوان الذي صدر به لاول مرة في العقد الثالث من هذا القرن وأعيد طبعه سنه 1964 م بباريس.

فبالنسبة لجوتييه فان القرون المظلمة تتمثل في الفترة الاسلامية لا غير أما قبل ذلك فلا يعتبر مظلما.

وإذا كان رينهارت دوزي قد سبق جوتييه في تناوله للثورة في كتابه المترجم الى العربية «تاريخ مسلمي اسبانيا» فأن أصله الهولندي واختصاصه الأندلسي لم يجعلاه مرجعا لمؤرخي مدرسته على أكبر تقدير ، وانما المرجع والعمدة في تاريخ المغرب عند هذه المدرسة هو جوتييه لا غيره (1864-1940) اذ كان سباقا الى تدوين تاريخ المغرب ومناقشته مناقشة لا تخلو من تفلسف ، ومن هنا فان المؤرخين الذين جاؤوا من بعده كانوا كلهم عالة عليه يرددون ما قاله خاصة فيما يخص الثورات موضوع دراستنا فجورج مارسية ووليم مارسية وشارل اندري جوليان وغيرهم لا يختلفون في كثير ولا في قليل عن جوتييه وتفسيراته للثورة وأهدافها ، والثوار وطوائفهم أو

قبائلهم واذا كان الفرد بل يختلف نوعا ما عن زملائه السابقين، فأن اختلافه في تفسيره لأحداث المغرب عموما تفسيرا دينيا، ثم يلتقي بهم في نهاية المطاف.

ان المصادر العربية في العصر الوسيط اذا كانت تختلف فيما بينها عند تناولها للثورة والثوار فأن المدرسة الغربية في العهد الاستعماري لا تختلف اطلاقا وانما يؤكد المتأخر منهم المتقدم ، ولا أعدو الحقيقة اذا قلت ان اختلاف وجهات نظر المؤرخين العرب مغاربة ومشارقة، خوارج وغير خوارج هو الذي أوحى لمؤرخي المدرسة الغربية بنظرتهم للثورة نظرة عنصرية قوامها «فرق تسد» وهي احدى مقومات بل أهداف هذه المدرسة[5].

ثورات الخوارج بين المؤرخين قديما والمدرسة الغربية حديثا:

تناول المؤرخون قديما ثورات الخوارج ، ونظروا اليها دينيا مذهبيا وقوميا. فإذا كنا لا نتعجب من النظرة الدينية لكل القضايا التاريخية من قبل هؤلاء المؤرخين ، فان عجبنا يزداد عندما نقرأ تلك المصادر ، ونكتشف فيها الكثير مما يشير صراحة وبدون أية فلسفة أو تأويل الى النظرة القومية العنصرية عند مؤرخينا قديما.

فبالرغم من ذكرهم للأسباب المباشرة التي أدت الى الثورة البربرية الأولى في طنجة تحت زعامة ميسرة المطغري والمتمثلة خاصة في سوء معاملة عمر بن عبيد الله المرادي للبربر، اذ يذكر هؤلاء جميعا وبدون استثناء ، أن عمر بن عبيد الله «..أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر وأراد أن يخمس البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله وانما كانت الولاة يخمسون من لم يؤمن منهم ولم يجب الى الإسلام فلما بلغ البربر خروج حبيب بن أبي عبيدة الى بلد الروم انتفضوا على عبيد الله بن الحبحاب بطنجة وتداعت عليه بأسرها ، وعظم البلاء وذلك في سنة اثنتين وعشرين ومائة..»[6]. وذكر المؤرخون الآخرون هذا النص بكامله وأضافوا اليه ويهمنا أن نذكر ما قاله ابن خلدون لأن مؤرخي المدرسة الغربية اعتمدوا عليه خصوصا يقول بعد أن يذكر تولى عمر بن عبيد «الله المرادي على طنجه واسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب على السوس: «واتصل أمر ولايتهم وساءت سيرتهم في

البربر ونقموا عليهم أحوالهم ، وما كانوا يطالبونهم به من الوصائف البربريات والأفرية العسلية الألوان وأنواع من طرف المغرب... فكثر عيثهم بذلك في أموال البربر وجورهم عليهم، وامتعض لذلك ميسرة الحفيد زعيم مطغرة وحمل البرابرة على الفتك بعمر بن عبد الله عامل طنجه فقتلوه سنة 122 هـ... واضطرم المغرب ناراً وانتفض أمره على خلفاء المشرق فلم يراجع طاعتهم بعد..»[7].

أقول بالرغم من هذه التصريحات والتأكيدات على جور بعض الولاة وظلمهم، فأن مؤرخي العصور الوسطى وقفوا منذ البداية الى جانب الخلافة ضد البربر وضد الخوارج وضد الثورة والثوار بصفة عامة، واعتبروا ذلك تطاولا على أولي الأمر بل هو تطاول على امراء العرب، يقول ابن خلدون متحدثا عن فشو المذهب الخارجي بالمغرب «ونفشت هذه البدعة، واعقدها رؤوس النفاق من العرب وجراثيم الفتنة من البربر ذريعة الى الانتزاء على الأمر فاختلوا في كل جهة... يلبسون الحق بالباطل... ووشجت بينهم عروق من غرائسها ثم تطاول البربر الى الفتك بأمراء العرب فقتلوا يزيد بن أبي مسلم سنة اثنتين ومائة لما نقموا عليه في بعض الفعلات ثم انتفض البربر بعد ذلك سنة اثنتين وعشرين ومائة في ولاية عبيد الله بن الحبحاب»[8].

ان هذا الموقف الصريح والمنحاز الى جانب الخلافة وولاتها وقواتها من قبل المؤرخين في المغرب والمشرق من غير الخوارج ، يعارضه موقف المؤرخين المغاربة (البربر) من الأباضية وقد سبق أن ذكرنا ان كتابات هذه الفرقة هي كل ما بقي لدينا من تراث الخوارج في بلاد المغرب فلواب بن سلام بن عمرو اللواتي الأباضي يقول متحدثا عن جند الخلافة في عهد محمد بن الأشعث الخزاعي «استأسد الجند بطرابلس واستذلوا البربر»[9] وهكذا في الوقت الذي يرى فيه ابن خلدون وغيره من المؤرخين أمثاله الى لثورة تطاولا من البربر على أمراء العرب يرى اليها الإباضية والبربر والخوارج عموما استئسادا وكبرياء وظلما من الجند اذلالا للبربر ، ومن هنا فان الكتابات الأباضية تقدم التبرير الشرعي للثورة في حين نجد الكتابات الأخرى رغم اعترافها بالظلم وايرادها لأسباب الثورة بشكل جلي، فإنها مع ذلك لا ترى شرعية تلك الثورة، فهذا ابن عذاري لما ينتهي من ذكر جور عمر بن عبيد الله المرادي يقول

«فكان فعله الذميم هذا سببا لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية الى كثير القتل في العباد ، نعوذ بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله»[10] ، ومع ذلك فهو يرى أن ثورة البربر نقض للطاعة.

ان هذا الموقف المتناقض لدى مؤرخينا تجاه الثورة يفسره عاملان:

أولهما: العداء المذهبي اذ أن الثورة البربرية اتخذت لها الخارجية مذهبا وغطاء وتبريرا على بقائها ضمن حظيرة الإسلام، لامر الذي يرفضه المؤرخون السنة والشيعة على السواء ، وهذا لا يحتاج الى توضيح.

ثانيهما: لا أقول العداء العرقي أو الجنسي وانما الحط من قيمه الثوار البربر أمام الخلافة وقواتها وعدم الاكتراث لمصائرهم أو الشعور بآلامهم أو بعبارة أخرى أوضح تبين لسان حال مؤرخينا تجاه الثوار وهي: ما قيمة هذه الفئة من الثوار وما بلغته أحوالهم الاجتماعية من تدني أمام قيمة وقدسية الخلافة مهما كانت هذه الخلافة، اذ لاحق لاحد أن يخرج عن طاعة أولي الأمر الجورة فضلا عن العدول.

من هنا وجدت المدرسة المغربية ومؤرخوها الذين اهتموا بثورات الخوارج ، الموازين مضطربة، ومنطق الاشياء منتهكا، ولهذا نشعر من خلال كتاباتهم منذ الوهلة الأولى احترازهم من النصوص العربية خاصة عندما تكون القضية مثل قضيتنا التي نحن بصدد دراستها فجوتييه (Gautier) مثلا يذكر أن المؤرخين العرب كلما تناولوا ثورات الخوارج كانوا كالعادة في كتابة التاريخ مقلين ومجحفين في حين يظهرون بموقف واحد إزاء الأحداث الكبرى[11].

وتطرقُ جوتييه لثورة الخوارج والاهتمام بها انما لسبب كونها قد جاءت بعد معركة بواتييه (بلاط الشهداء) سنة 114 هـ/732 م ويقول بأنه ينبغي على الفرنسيين أن يعرفوها جيدا، لأنه كان لها تأثير مباشر وعميق على تطور تاريخ فرنسا[12] فالنظرة هنا اذن نظرة المدرسة الفرنسية لا غبار عليها.

ان هذه المدرسة ، لما نبشت في المصادر العربية الوسيطة ولاحظت ذلك التحيز الصريح الى جانب الخلافة وجندها العربي المشرقي، وجدت نفسها تلقائيا تقف الى جانب السكان الأصليين لشمال افريقيا، على حد تعبيرها، تفلسف ثورتها وتؤولها وتفسرها تفسيرا تخدم به وجهة نظر المدرسة الغربية.

فإذا كان المؤرخون العرب قد تعصبوا للخلافة ضد البربر الخوارج ، فأن هؤلاء بعكس ذلك نجدهم قد تعصبوا للبربر الخوارج ضد الخلافة الإسلامية والعرب، وهكذا ضاعت الحقائق بين التعصبيين وظهر جليا احتياجنا الحتمي اليوم أكثر من أي وقت مضى الى مدرسة جزائرية للتاريخ تطرح القضايا الوطنية بجرأة وبدون أية عقدة اطلاقا.

وإذا كنا قد عرفنا العوامل التي دفعت المؤرخين القدامى الى موقفهم المذكور فما هي الأسباب التي حفزت المستشرقين الى تبني موقفهم الموالي للبربر الخوارج.

هناك عاملان: أولها: الاعتقاد بأنهم يطبقون طرق البحث الحديثة التي تملي عليهم التزام الموضوعية ونقد جميع النصوص مهما بلغت من قدسية مع احترازهم الشديد من المصادر العربية عموما لأنها في نظرهم متعصبة.

ثانيهما: الاعتقاد في أن البربر الخوارج قد ثاروا ضد العنصر العربي يريدون الاستقلال الكلي عن السلطة العربية والمشرق حيث الخلافة الإسلامية.

فإذا كان السبب الأول واضحا، فان السبب الثاني أوضح اذ ان المدرسة الغربية كانت تريد أن تضرب العلاقة الوطيدة والعميقة والرباط المتين الذي يشد بلاد المغرب ببلاد المشرق العربيين ، ذلك الرباط الذي يتمثل في عقيدة البلدين أولا وفي أواصر القربى ثانيا.

ان المدرسة الغربية انما تعمل بإيعاز من المصالح الاستعمارية وبتشجيع منها حيث أنها تمهد لها السبيل وتسهل لها المهمة وتبين لها مواطن الضعف والقوة في هذا الشعب أو ذاك وهذا أمر بديهي لا يغيب عنا طالما عملت المدرسة الغربية على تحقيقه خدمة لمصالح بلدها على حساب مصالح الشعوب المستضعفة.

إن المصادر العربية بموقفها المذكور هي التي أملت لمؤرخي المدرسة الغربية موقفهم، فإذا كنت أجد هؤلاء قد عملوا في اطار مدرستهم دون انحراف ، فأي تفسير يبرر به موقف المؤرخين مغاربة ومشارقة من غير الخوارج لما اعترفوا بأسباب الثورة وانكروا قيامها واعتبروا القائمين بها عصاة، نقضوا الطاعة وخرجوا على أولي الأمر وبالتالي فإن الولاة والخلفاء عندهم معصومون أو شبه معصومين لا تجوز الثورة

عليهم ولا الخروج ضدهم وانما الطاعة العمياء هي الواجب الشرعي.

وفي الحقيقة ان الفكر الخارجي انما نشأ لما نشأ لرفض هذا المنطق بالذات والمدرسة الغربية لما وقفت موقفها المذكور فذلك لانها أدركت هذه الحقيقة وتبقى نواياها شيء آخر.

ثم ان المصادر العربية كلها هي التي أملت للمدرسة الغربية موقفها العدائي من العرب والإسلام في هذه الثورة لأن تلك المصادر كانت واضحة في استعمالاتها لألفاظ: العرب والبربر، الحقير والاشراف ، البربري والقرشي ، حصن بربري وخيمة قيسي أو تميمي الخوارج الفتنة النفاق وأولوا الأمر وأمراء العرب وغيرها من التعابير التي مهما أوّلناها أو رمنا تهذيبها بقيت تنضح بالتعصب فضلا عن العداء المذهبي الذي كان آفة العصور الوسطى فأي تفسير أو تهذيب يمكن اجراؤه على هذا النص مثلا عندما يقول ابن سلام متحدثا عن ثورة أبي حاتم الملزوزي سنة 155 هـ «سأل أبو حاتم عمن كان مع الجند من البربر فقالوا: معهم مليلة من هوارة فدعا عليهم فلم يزالوا في مذلة من الجند الظالمة لا ينقطع عنهم دون البربر أبدا...»[13].

وأي تفسير أو تأويل يمكن به فهم نص ابن خلدون معتمد المستشرقين الأول في كتابة التاريخ الجزائري خصوصا والمغربي عموما لما يذكر تسلسل ثورات البربر ابتداء من ثورة ميسرة سنة 132 هـ الى قيام دولة المرابطين ، وبعد أن يجيز ذلك يقول «وركدت ريح الخوارج من البربر من افريقية وتداعت الى الاضمحلال. وانحصدت شوكة البربر وأستكانوا للغلب وأطاعوا للدين فضرب الإسلام بدعتهم بجرانه وألقت الدولة الضريبة على البربر بكلها وتقلد ابراهيم بن الأغلب التميمي أمر افريقية والمغرب من قبل هارون الرشيد ... وكانت لهم (للأغالبة) بافيقية والمغرب الدولة التي ذكرناها من قبل الى أن انقرض أمر العرب بإفريقية على زيادة الله... سنة تسعين ومائتين... وخرج كتامة على بني الأغلب بدعوة الرافضية.. فكان ذلك آخر عهد العرب بالملك والدولة بافريقية. واستقل كتامة بالأمر من يومئذ ، ثم من بعدهم من برابرة المغرب وذهبت ريح العرب ودولتهم عن المغرب وافريقية فلم يكن لهم بعد دولة الى هذا العهد، وصار الملك للبربر وقبائلهم يتداولونه طائفة بعد أخرى وجيلا بعد آخر، تارة يدعون الى الأمويين الخلفاء بالأندلس، وتارة الى الهاشميين من بني

العباس وبني الحسن ، ثم استقلوا بالدعوة لأنفسهم آخرا...»[14].

إن هذا النص صريح في جعل الصراع في بلاد المغرب صراعا قوميا جنسيا: صراعا بين العرب القادمين من المشرق وبين البربر السكان الأصليين لبلاد المغرب، فهؤلاء يريدون الاستقلال بالسلطة لأنفسهم ولا يريدون هيمنة مشرقي عليهم، ورغم طول مدة الصراع بين الطرفين وصل البربر في النهاية الى تحقيق هدفهم في الاستقلال عن السلطة العربية المباشرة ثم عن سلطة الخلافة في المشرق والأندلس.

بهذا يفهم النص ويفسر، والى هذه الحقائق يريد أن يضل ، وهو ما فهمه المستشرقون فعلا ولعلهم أضافوا من عندهم حب البربر الخروج عن الإسلام والمسلمين وهو أمر لم يذكره أحد من القدماى وانما هو محض اختلاف يكشف أهداف المدرسة الغربية بوضوح : فالعلاقة بين المغرب والمشرق هي علاقة الإسلام أولا ثم علاقة العروبة ثانيا، وكلما توطدت وتعمقت علاقة الاسلام وجدت العروبة نفسها تسير في نفس الطريق والعكس غير صحيح في كثير من الأحيان «ووقائع التاريخ تشهد بأن المحرك الأساسي والدافع الرئيسي للتاريخ الجزائري منذ 15 قرنا يتمثل في العقيدة الإسلامية وينبع عن الاختيار النهائي والذي لا رجعة فيه لاجدادنا ،بالانتساب الحضاري لهذه العقيدة الإسلامية والالتزام بخدمة قضاياها»[15].

وأود أن أقول ، علينا ألا نحمل المدرسة الغربية كل تبعات وهنات التاريخ التي لم ترق لنا أو لا تنسجم مع طموحاتنا، فإننا مهما انتقدنا المدرسة الغربية وغالبا ما يكون في ذلك غلو وغلاة، فان لسان حالنا ومقالنا لا يفتأ يسبح بحمد هذه المدرسة والعودة اليها والى افكارها وطروحاتها واستنتاجاتها نتبناها جميعا وننسبها الينا ونلعن مع ذلك أصحابها.

نعم لقد حرف المستشرقون الكثير من تراثنا وشوهوه ولكن «لا أحد ينكر دور الاستشراق في خدمة تراثنا»[16]. فإذا كانوا قد فسروا بعض قضايا التاريخ الاسلامي تفسيرا يخدم أهداف المدرسة الغربية. فلا أبالغ عندما أقول أن المصادر العربية الإسلامية هي التي أعطت لهم المادة الأولية وهي التي أوحت لهم بأفكارهم ، ولا أريد أن أعمم القضية أو أبرئ ساحة هذه المدرسة ، وانما هي الحقيقة المرة التي يجب أن نعرفها وأن نواجهها ولا نهرب منها.

ان المدرسة الغربية لما تناولت الثورة البربرية في بلاد المغرب رجعت بالدرجة الأولى الى ابن خلدون وفهمت مقصده بعد التعمق في دراسة نصوصه ولم تعمل أكثر من إعادة ما قال في حلة جديدة تتناسب وفكر القرن العشرين، فإذا كان ابن خلدون قد وقف موقفا عدائيا من الخوارج والبربر الثوار فإن المدرسة الغربية ناقشت أسباب الثورة ولم تجد ما يبرر عدم وقوفها الى جانب الثوار.

وإذا حاولنا أن نحدد في نقاط ما جاء في المصادر العربية وفي كتابات المدرسة الغربية نلاحظ ما يلي:

أولا : في المصادر العربية:

1 ـ التحيز الظاهري للجنس العربي مما يوحي بالشعوبية خاصة اذا علمنا أن فترة ثورات الخوارج هي الفترة التي بلغت فيها حمى الشعوبية ذروتها من كلا الطرفين العربي وغير العربي.

2 ـ الوقوف الى جانب الخلافة ظالمة أو مظلومة اذ لا يحق لاحد أن يخرج على أولي الامر، فأغلب المؤرخين القدامى مدونون لسياسة الخليفة لا غير.

3 ـ التعصب المذهبي وهو مرض العصور الوسطى سواء أكان المصدر سنيا أو أباضيا أو شيعيا: الكل يدعي أو يعتقد أنه الفرقة الناجية.

4 ـ ذكر أسباب الثورة دون الإشارة الى أهدافها الغامضة.

5 ـ البحث عن أسباب هزائم الجند والتغاضي عن انتصارات الخوارج وانهزاماتهم وأسباب ذلك.

6 ـ عدم الاكتراث بالأحوال الاجتماعية لدى الرعية من البربر الخوارج.

أما في كتابات المدرسة الغربية فنلاحظ ما يلي:

1 ـ الوقوف الى جانب البربر والنظر الى ميسرة وكأنه شبيه كسيلة والكاهنة والخلط بين كلمتي عرب ومسلمين بحيث جعلوا العرب هي خير أمة أخرجت للناس وبالتالي فان العرب أساءوا السيرة الى الموالي بسبب عقدة التفوق هذه وجهلوا أو تجاهلوا أن خير أمة هي الأمة الإسلامية التي يشكل العرب جزءا منها.

2 ـ الحط من قُدْسِيّة الخلافة وقيمة الولاة واعتبارهم المسؤولين المباشرين عن أحداث الثورة.

3 ـ التعصب الى المدرسة الغربية وتبني منهجها القائم على الجوسسة على التاريخ ان صح التعبير خدمة للادارة الاستعمارية.

4 ـ ذكر أسباب الثورة والبحث عن أهدافها الغامضة بطريقة لا تخلو من الغلو.

5 ـ الاهتمام بالهزائم والانتصارات تفسير أسبابها ونتاجها لكلا الطرفين.

6 ـ الاهتمام بالأحوال الاجتماعية لدى الرعية من البربر الخوارج.

7 ـ الربط بين الحركة الخارجية في الإسلام بشمال افريقيا وبالحركة الدوناتية المسحية قبل الإسلام بشمال افريقيا ، وأول من أشار الى هذه الظاهرة ماسكراي أميل (E. Masqueray) عند تحقيقه لكتاب السير لابي زكريا الورجلاني، فجاء جوتييه فتوسع في الفكرة وتفلسف فيها وتبعه من جاء بعده من مؤرخي مدرسته بالإضافة الى بعض المؤرخين العرب المحدثين[17]. ولا أستطيع أن أقول هنا شيئا ما دمت لا أعرف بدقة الحركة الدوناتية أسبابها وعواملها وأهدافها ونتائجها ولكن أقول بداية لا نقبل عن طيب خاطر التفسير الدي جاء به جوتييه وَبِلْ وغيرهما عن أسباب الحركتين وأنها تعود الى حب البربر الاستقلال في ظل الفوضى وأنهم يميلون الى التمسك بالشعائر دون الشرائع أو بالاحرى التمسك والاهتمام بالعبادات دون العقائد.

8 ـ ربط الثورة البربرية الخارجية بالبتر دون البرانس وبزناته الغربية خصوصا[18] ربما حتى تتوافق مع الحركة الدوناتية أو لاظهار الفروق بين البتر والبرانس وهذه سمة معلومة لدى المدرسة الغربية، واذا عدنا الى المصادر العربية لا نجد إشارة اطلاقا الى فرق بين البتر والبرانس في هذه الثورة ، البربر كلهم شاركوا في الثورة بدون استثناء في أنسابهم أو طبقاتهم الاجتماعية أو مواطنهم.

هكذا نلاحظ أن المدرسة الغربية اهتمت بهذه الثورة وحاولت فهمها رغم قلة المعلومات المتوفرة عنها خاصة فيما يخص طرف البربر الخوارج ، وكثيرا ما أشار مؤرخو الغرب الى هذه الظاهرة ، وبالتالي لما ترك ذلك المجال فارغا حق للباحث أي باحث

ارتداد العرب في اليمامة بعيدا عن الحجاز مركز الإسلام، اذ ثار بنو حنيفة وغيرهم من القبائل العربية ضد السلطة القرشية وما امتناعها عن دفع الزكاة الا لأن هذه الزكاة هي ضريبة تعني وترمز الى التبعية الى سلطة مركزية وبالتالي تقلص الحرية والاستقلال المعهودين لدى القبائل البدوية ، فقبيلة بني حنيفة وغيرها رفضت الاستسلام لسلطة قريش أو لسلطة المدينة لأنها رأت في ذلك إهانة الى كبريائها ، كيف تجرأ قبيلة على السيطرة على جميع القبائل أنه أمر لم يألفه العرب منذ عهود قديمة[23] ونفس هذا المعنى نجده أو يجب أن يكون عند تفسيرنا لارتداد برغواطة وغمارة وغيرهما ، وفي هذا الاطار لا غير يجب أن نضع تلك القبائل المرتدة من البربر.

أخيرا هذه بعض الأفكار التي طالما راودتني وأنا أتعامل مع المصادر العربية وكتابات المدرسة الغربية ، وهي اجتهادات باحث يعرضها أما الأساتذة فهو لا يقرر حقيقة بقدر ما هو يبحث عن الحقيقة فلعل التدخلات الكريمة من أصحاب الاختصاص في هذا العلم يقررون مع الباحث ما ذهب اليه أو يوجهونه وينبهونه الى مزالقه وأخطائه ويقومون أعوجاجه.

ولا شك أن البحث يحتاج الى مزيد من العناية وعمق الفكرة وشموليتها، ولعل الله يوفقنا الى الكتابة في موضوع ثورات الخوارج ببلاد المغرب لنتحدث فيه عن أسبابها وعواملها المساعدة وأحداثها المتداخلة وأهدا الغامضة ونتائجها المحققة؛ وذلك عمل ضخم يحتاج الى صبر وعمق فكر ونزاهة باحث، فما أحوجنا اليوم أكثر من أي وقت مضى الى وضع الأسس العلمية الراسخة لمدرسة التاريخ الجزائرية ، ولا يسعنا الا أن نردد مع الدكتور محمود اسماعيل مقولته التى قالها منذ أكثر من عشر سنوات خلت: ان الأمل في مدرسة مغربية «يبرق في جيل جديد يعيد تقييم تاريخه ويتحرر فكرياً من أثار الثقافة الاستعمارية كما تحرر سياسياً»[24] ، ألا ترون معي أن هذا الأمل الذي عقد على الجيل الجديد قد مرت عليه أكثر من عشر سنين وبالتالي فهو معرض الى التلاشي والخيبة، إن لم نُسرِع في إقامة هذه المدوسة ماديا ومعنويا ولاقامتها أقدم هذه المقترحات السريعة:

ولإقامة المدرسة الجزائرية للتاريخ أقدم هذه المقترحات العامة:

1 ـ احياء الدراسات التاريخية وتطويرها وتوفير الوسائل الضرورية لذلك.

أن يصول فيه ويجول وهو ما قام به هؤلاء المؤرخون، فراحوا يؤولون النصوص ، ويقلبون المعاني ويستنتجون ما تهوى إليه نفوسهم ، ويستنبطون ما يريدون أو ما تريد منهم مدرستهم وكل هذا كان في غياب مدرسة مغربية للتاريخ أو بعبارة أخرى دراسات تاريخية مغربية تفند الأباطيل وترد على أصحابها.

فمن استنتاجاتهم مثلا أن البربر ثاروا ضد الوجود العربي وضد الإسلام وقد سبق أن ذكرت أن المصادر العربية هي التي أوحت اليهم بذلك، كما توحي الينا جميعا ، فإذا كان المستشرقون يثبتون ذلك بالأدلة ، فأننا نحن معشر الباحثين جميعا ، ننفيه في أبحاثنا بصريح العبارة ولكننا نؤكده بصريح الإشارة تارة وبالتواءات العبارة تارة أخرى[19].

والرأي عندي أن البربر فعلا ثاروا ضد التواجد العربي وارتدوا عن الإسلام ولكن المسألة هنا تتعلق ببعض القبائل لا كلها. والثورة موضوع هذه الدراسة لم تهدف الى هذا اطلاقا وانما هي ثورة بربرية خارجية ضمت جميع القبائل أو على الأقل السواد الأعظم من القبائل المغربية وأعلنت تمردها عن الخلافة القائمة وعن الولاة الجورة ، فالبربر لما ثاروا انما ثاروا ليقولوا «لا حكم إلا لله» أي أن الفكر الخارجي المعروف عنه التشدد في الدين، احتواهم فعمق ايمانهم بحيث رأوا أن حملة الإسلام اليهم رعاة وولاة وخلفاء قد انحرفوا عن سواء السبيل ووجب عليهم الخروج ضدهم لأنهم مغتصبون للحكم لا يحكمون بما أنزل الله فهذه هي مبادئ الخوارج الاساسية اعتنقوها وأخلصوا اليها، وعملوا بالنفس والنفيس على احياء الخلافة العادلة خلافة الراشدين والقضاء على المغتصبين من بني أمية وبني العباس على حد سواء لذلك لم تهدأ ثورتهم بعد انهيار الأمويين سنة 132 هـ/750 م.

أما البربر الأقلية التي ثارت أو تمردت ضد التواجد العربي وارتدت عن الدين الإسلامي مثل غمارة وبرغواطة[20] فإن الإسلام لم يشملها ولم يتعمق فيها وانماترك الفاتحون في مواطنها الخوف والرعب كما تقول جميع المصادر[21] ، ولم يتركوا الإسلام الذي يعني الأمن والطمأنينة وهذا جانب من جوانب انحراف الفتوحات عن مسارها الحقيقي المتمثل في التبشير بالإسلام وهو سبب أيضا غير مباشر لقيام الثورات ببلاد المغرب، وينبغي أن نفسر ارتداد هذه القبائل[22] وظهور المتنبئين فيها تماما مثلما نفسر

2 ـ التمكن من المخطوطات والوثائق والمصادر النادرة واستنساخ ما هو موجود في المكتبات الخاصة اذا تشبث أصحابها ببقاء الأصل عندهم واثراء المكتبات العامة التي تفتقر الى الكثير من مصادر التاريخ الجزائري.

3 ـ إعادة النظر في المكتبات العامة عموما: تنظيما وترتيبا للكتب واشرافا ومشرفين فقد آن الأوان ليتولى المكتبات أخصائيون يعرفون قيمة الكتاب والمكتبة كما يعرفون قيمة البحث والباحث.

4 ـ العمل على توجيه طلبة الماجستير والدكتوراة الذين يريدون الاختصاص في التاريخ الجزائري توجيها يتماشى ومتطلبات كل مرحلة.

5 ـ وضع حد للمشاكل الاجتماعية والعلمية والمادية التي تأخذ قسطا كبيرا من وقت الباحث في التاريخ الجزائري حتى يتفرغ للبحث لا غير.

6 ـ تنشيط وحدات البحث وضبط أوقاتها ومراقبة أصحابها ومساعدتهم كلما دعت الضرورة ذلك.

7 ـ تنشيط حركة التأليف التاريخي الفردي والجماعي بتوفير المحفزات والقضاء على المثبطات.

8 ـ الاكثار من الملتقيات التاريخية العلمية دقيقة الموضوع، محدودة الأهداف مع طبع محاضراتها وأهم التدخلات فيها.

9 ـ الاكثار من الموائد المستديرة والندوات التاريخية ذات الموضوع المحدد وبث ذلك اذاعيا وتليفزيونيا وصحافيا.

10 ـ الاكثار من المجلات التاريخية المتخصصة الشهرية والفصلية مع الالتزام بتواريخ صدورها بدقة.

11 ـ تناول دراسات المدرسة الغربية وقضايا التاريخ الجزائري بالدراسة والبحث الواحدة بعد الأخرى، لاثبات ما شهدت به الأعداء، ولتنفيذ مغالطهم ومزالقهم بالأدلة العلمية الدقيقة وهذا هو ما نسميه بإعادة كتابة التاريخ الجزائري فهذه العلمية في حد ذاتها سوف تفرز افكارا تكون أساسا للمدرسة الجزائرية للتاريخ.

(12) توفير المطابع الكفأة، وضمان طبع جميع البحوث والدراسات التاريخية في وقت معقول يكون محفزا للباحثين.

13 ـ ضرورة وضع مادة التاريخ الجزائري في كل اختصاص من اختصاصات الجامعة، ترافق الطالب الجامعي من سنته الأولى حتى سنة التخرج ويكون لها من الأهمية ما يكون لمادة الاختصاص لا فرق.

14 ـ الاهتمام بتعليم التاريخ الجزائري في المدارس والثانويات، واشتراط ادراجه في الامتحانات الوطنية كالأهلية والبكالوريا وذلك بعد رفع مستوى الأساتذة بالتربصات.

15 ـ طبع ونشر الكتب والكتيبات والمجلات الخاصة بالأطفال مع الاهتمام خاصة بقضايا التاريخ الجزائري من القديم الى المعاصر بأسلوب سهل مشوق يتناسب ومستوى التلاميذ وأذواقهم.

لتحقيق هذه الغايات وغيرها ينبغي ضبط الأهداف القصيرة والمتوسطة والبعيدة المدى، لوضع أسس متينة ومنهج دقيق للمدرسة الجزائرية للتاريخ وحتى نحاسب أنفسنا في نهاية كل مطاف.

أخيرا هذا ما بدا لي اليوم ولعلني أرى رأيا آخر في غد والله الموفق والسلام.

الهوامش:

(3) عن ثورات الخوارج أنظر: خليفة بن خياط: تاريخ، دمشق 1968، ج 2، ص 525 وما بعدها، الرقيق: تاريخ، ص 109 وما بعدها، ابن عذاري: البيان جـ 1، ص 51 وما بعدها؛ ابن خلدون: العبر بيروت 1968م م 6، ص 220 وما بعدها، ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب بلا مكان وتاريخ الظبع ص 293 وما بعدها: أبو زكرياء: سير الأئمة ـ الجزائر 1979 ص 37 وما بعدها ـ ابن الأثير الكامل. دار الفكر بيروت 1978 م ج 4. ص 222 وما بعدها. دوزي: تاريخ ملكي اسبانيا. ترجمة حسن حبشي وآخرين. دار المعارف القاهرة 1963 م ص 138 وما بعدها.

Gautier E.F.: Le passé de l'Afrique du Nord, Paris 1964, pp. 267-284.
George Marcais: La Berberie Musulmane et l'Orient au Moyen âge, Paris 1946, pp. 43-53.

الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي ترجمة عبد الرحمن بدوي بيروت 1981. ص 145 وما بعدها. شارل أندري جوليان: تاريخ **افريقيا الشمالية**، ترجمة محمد مزالي وآخر تونس 1978 م. ص 36 وما بعدها. وانظر كذلك: حسن مؤنس: ثورات البربر في افريقية والأندلس مجلة الآداب. مصر 1948 م. المجلد العاشر ص 143 وما بعدها. محمود اسماعيل: قضايا في التاريخ الاسلامي دار العودة بيروت 1974 م. ص 92 وما بعدها. ابراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري. بيروت 1979 م. ص 349 وما بعدها.

(4) الضبي أحمد بن يحيى: بغية الملتمس – مجريط 1884، ص 131.
(5) ارجع الى محمود اسماعيل قضايا في التاريخ ، ص 92 وما بعدها.
(6) الرقيق: ص 109.
(7) ابن خلدون: م 6 ص 239_240.
(8) المصدر نفسه، ص 220_221.
(9) لواب بن سلام: الاسلام وتاريخه ، دار اقرأ بيروت ، 1986، ص 150.
(10) ابن عذارى، ج 1، ص 52.
(11) Gautier, p. 275.
(12) Gautier, p. 271.
(13) ابن سلام، ص 154.
(14) ابن خلدون، م 6، ص 220_229.
(15) سعيدوني ناصر الدين – نحو نظرة جديدة لتاريخنا الجزائري، مجلة الثقافة عدد 24، الجزائر 1984، ص 46.
(16) محمود اسماعيل – الحركات السرية في الاسلام، بيروت 1973م، ص 195.
(17) انظر مثلا حسين مؤنس: ثورات البربر – المقال المذكور آنفا.
(18) يوافق بعض الباحثين العرب المحدثين ما ذهب اليه جوتييه في هذه القضية أنظر حسين مؤنس: ثورات البربر ومحمد بن عميرة: دور زناته في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي، الجزائر 1984، ص 91.
(19) انظر مثلا محمود اسماعيل: قضايا في التاريخ الاسلامي ص 104، 106، 116، 122، 129، 136. حسين مؤنس: ثورات البربر، رفعت فوزي عبد المطلب: الخلافة والخوارج في المغرب العربي – القاهرة 1973، خاصة صفحة 196. 197 مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في المغرب. الجزائر 1983 م ص 41 وما بعدها، وغيرها من المراجع العربية الحديثة.
(20) البكري أبو عبيد : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب . الجزائر 1857 م ص 100 وما بعدها ص 134 وما بعدها.
(21) الرقيق تاريخ. ص 108. ابن عذارى البيان ج 1 ص 51. ابن الأثير: الكامل. ج 4 ص 222.
(22) يذكر ابن خلدون أن البربر ارتدوا عن الاسلام اثنتي عشر مرة. العبر. م 6. ص 205.
(23) أحمد بن ابراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة. مصر 1968. ص 137_149.
(24) محمود اسماعيل: قضايا في التاريخ الاسلامي: ص 105.

موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني

مولاي بالحميسي

كانت الجزائر منذ أن ألحقت بالمملكة العثمانية سنة 1518 م، موضوع اهتمام بالغ ودراسات متواصلة وأبحاث مختلفة من طرف الفرنسيين ، ولم يحظ قطر من أقطار شمال افريقيا بما حظيت به الجزائر من إنتاج أدبي وتاريخي وعسكري[1].

ويعود السبب في ذلك الى ما أثاره نظام البلاد الجديد في العالم المسيحي من حيرة وما لفته من أنظار لدى الساسة والقادة ورجال الكنيسة والمسؤولين على البحريات. فلا غرابة إن تعددت التآليف وتنوّعت حتى ملأت الخزائن.

لقد خرج المغرب الأوسط في أوائل السادس عشر من عزلة أنهكته وتقوقع أنسى الناس في وجوده وما هي الا سنوات معدودة حتى تحوّل الى دولة ذات حدود مرسومة وعاصمة حصينة وجيوش عديدة وبحرية ناشطة أكسبتها وزناً دوليا مرموقا وذات نظم سياسة جديدة بالنسبة لما كان مألوفا في أوروبا ويضاف الى هذا كله أن الحكم الجديد تحدّى بنجاح الدول المسيحية التي اضطرت الى محاربته أو مهادنته أو شراء محالفته[2].

وكلما زاد نفوذ الجزائر على الساحة الدولية، أو في دائرة الأبيض المتوسط كلما تحول اهتمام الغربيين الى تخوف أو الى سخط كانا أقوى دافع الى تتبع كل ما يحدث في